

## المصلحة

ثبتت باستقراء احكام الشريعة الاسلامية انها وضعت لتحقيق مصالح الناس بجلب المنافع لهم ودرء المفساد عنهم وان تحقيق هذه المصالح هو المقصد العام للشريعة  
تعريف المصلحة : هي جلب المنفعة ودفع المضره .

اقسام المصلحة المعتمدة باعتبار الاهمية

تنقسم المصلحة المعتمدة في ميزان الشرع وبمعياره باعتبار اهميتها بالنسبة للناس الى ثلاثة اقسام (الضروريات , والحاجيات , والتحسينات)

### ١- المصالح الضرورية

وهي المقاصد الالهية في الاحكام الشرعية التي تقتضيها حياة الامم والمجتمعات والافراد , وترجع هذه الضروريات الى خمسة انواع هي (حماية الدين , حماية النفس , حماية العقل , حماية العرض والنسل , حماية المال )

أ- حماية الدين : حفظ الدين يحتل الصدارة من بين الضروريات الخمس التي هي مقاصد الشارع , حيث حرم الشارع كل تعرض للدين وامر بمعاقبة اهل البدع السيئة والافكار

المضادة للعقيدة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾

ب-حماية النفس : حرم الله الاعتداء على النفس وما دون النفس قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ

الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وشرع حق الدفاع الشرعي قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا

عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ وفرض القصاص قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

ج-حماية العقل : يتميز الانسان عن باقي المخلوقات بميزة العقل الذي بفضلها تمكن من ان يصل الى ما وصل اليه من التطورات الحضارية الحديثة المدهشة ولأهمية العقل في حياة

الانسان حرم الشارع كل ما يحدث الخلل فيه من المسكرات والمخدرات . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

د- حماية النسل: من حيث الحفاظ والحماية على العرض والنسب بالقول والفعل فحرم القذف واللعان بالكلام , وحدد للقاذف واللاعن عقوبة وحرّم الاعتداء الفعلي بتحريم الخلوة والزنا , وحدد العقوبة للزانية والزاني قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ و قَالَ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾

هـ- حماية المال : من حيث الحفاظ عليه حرم الاعتداء على اموال الغير بالسرقة والنهب والسلب والغصب وغير ذلك من التجاوزات غير المشروعة وشرع عقوبات منها حدية قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ

## ٢- المصالح الحاجية

هي المصالح التي يحتاج اليها الانسان لرفع المشقة ودفع الحرج والضيق وهي تلي المصالح الضرورية في الاهمية فيما يتعلق بحفظ الدين من الحاجيات وما يتعلق بالحياة من المصالح الحاجية وما يتعلق بالمال

أ- فيما يتعلق بحفظ الدين من الحاجيات الرخص المخففة من اقامة شعائر عند قيام الاعذار المشروعة والظروف الاستثنائية , فالصلاة تصبح قصرا في السفر , ويحق للمريض والمسافر والحامل والمرضعة الافطار والقضاء عند زوال العذر

ب- فيما يتعلق بالحياة . امر الشارع بالتداوي عند المرض , وابعاح اكل مال الغير بدون اذنه واكمل الميتة عند الجوع استثناء من القاعدة الشرعية القاضية بالتحريم

ج- فيما يتعلق بالمال . من الحاجيات اباح الشارع التوسع في العقود والشروط حتى تشمل العقود المستثناة من القواعد الشرعية العامة لحاجة الناس اليها , برفع الحرج ودفع المشقة والعسر قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

د- فيما يتعلق بالأنساب والاعراض من الحاجيات شدد الشارع في اثبات جريمة الزنا وتهمة القذف منعا لتطاول اللسن على اعراض الناس وانسابهم فجعل نصاب شهادة اثبات هذه الجرائم الاخلاقية ممن لا يقل عددهم عن اربعة رجال بالغين عاقلين عادلين قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فِإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾

هـ- فيما يتعلق بحفظ العقل من الحاجيات : حرم قليل المسكر او المخدر كحرمة كثيره , لأبعاده عن تناول الايدي قال رسول الله (ص) : (ما اسكر كثيره فقليله حرام)

### ٣- المصالح التحسنية

هي التي لا يختل نظام الحياة ولا يقع الانسان في ضيق وحر ج ومشقة بتخلفها كلها او بعضها , ولكنها لا يستغني عنها الانسان في وصوله الى الكمال وتحليه بالمحاسن وتخليه عن الرذائل

ففي الجانب الديني تجنب النجاسة واخذ الزينة بالذهاب الى المسجد والتقرب بالنوافل من الصدقات والقربات

- ومن التحسينات بالنسبة للنفس حمايتها من الدعاوى الباطلة والسب وغير ذلك مما لا يمس اصل الحياة وحاجياتها ولكن يمس كمالها
- ومن التحسينات للأموال تحريم التغيرير والخداع فإنه لا يمس المال لذاته ولكن يمس كمالها , حيث يوقع في الغلط

ومن التحسينات بالنسبة للنسب والعرض تحريم خروج المرأة في الطرقات بزيتها , قَالَ تَعَالَى:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾

- لأنه احفظ لكمال الاصل
- ومن التحسينات لحماية العقل المنع من اعلان الشرب للمحرمات وبيعها في اوساط المسلمين

وقد طلب الشارع رعاية التحسينات والكماليات في كل شيء وبصورة خاصة في العبادات والمعاملات والعقوبات والعادات

### شروط العمل بالمصلحة

يشترط لصحة العمل بالمصلحة والاستدلال بها على وجود الحكم وكشفه ان تتوافر فيها الشروط التالية :

- ١- ان تكون مندرجة تحت مقاصد الشارع بأن تكون راجعة اما الى المصالح الضرورية او الحاجية او التحسنية فالمصلحة الشرعية التي تعتبر مصدرا لاكتشاف الحكم هي المصلحة المعتبرة
- ٢- عدم معارضتها لنص تكون دلالاته على الحكم قطعية اي ان تكون المصلحة ملائمة لمقاصد الشارع , فلا تخالف اصلا من اصوله ولا تنافي دليلا من ادلة احكامه

- ٣- ان تكون المصلحة كلية وليست شخصية , اي مصلحة عامة لا خاصة , فلا يجوز ان يشرع الحكم لتحقيق مصلحة خاصة
- ٤- ان تكون المصلحة معقولة بذاتها , لا تنكرها العقول السليمة

## الاستحسان

تعريف الاستحسان : هو عملية اجتهادية عقلية تستهدف ترجيح العمل بدليل الحكم الاستثنائي على العمل بدليل الحكم الاصيلي في واقعة معينة اذا وجده المجتهد احسن بمعيار شرعي .

وقد اتى القران الكريم على اختيار الاحسن من بين الامور المتعارضة قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ

يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ وكذلك امر

بالإحسان الذي هو جلب مصلحة او دفع مفسدة , قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

- ان الله تعالى في كل واقعة من وقائع الزمان , وفي كل تصرف من تصرفات الانسان حكما , فان وصل اليه المجتهد فهو مصيب والا فهو مخطئ قال الرسول الكريم (ص) (( اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران واذا حكم واجتهد ثم اخطأ فله اجر ))
- وكذلك الله تعالى في كثير من القضايا حكمان احدهما يختص بحالات السعة والظروف الاعتيادية ويسمى (عزيمة) وثانيتهما يطبق في الحالات الاستثنائية والظروف الطارئة ويسمى (رخصة) . والرخصة تبديل الحكم من الصعوبة الى السهولة لعذر مع قيام سبب الحكم الاصيلي.
- وعندما يجد المجتهد او القاضي تعارض الحكمين (العزيمة والرخصة) او تعارض دليليهما في قضية يوازن ويقارن بينهما فان وجد ان تطبيق الحكم الاصيلي (العزيمة) يجلب مشقة لا تطاق او حرجا لا يحتمل عليه ان يعدل عن العمل بمقتضى دليل الحكم الاصيلي الى العمل بموجب دليل الحكم الاستثنائي لأنه احسن لذي العلاقة في هذه القضية من حيث خلوه عن الحرج الذي ياباه القران قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ وقال الرسول الكريم (ص) : (بعثت بالحنفية السمحاء) (وان الله شرع الدين فجعله سهلا سمحا ولم يجعله ضيقا)
- وقد استنبط الفقهاء والاصوليون من هذه الآيات والسنن قواعد كلية منها :
- المشقة تجلب التيسير
- اذا ضاق الامر اتسع

- والضرورات تبيح المحظورات
- وما جاز بعذر يبطل بزواله

### الامثلة التطبيقية على فكرة الاستحسان من القران الكريم

ارشد القران الكريم الانسان الى العدول من تطبيق الحكم الصعب الى الاخذ بالحكم السهل كلما اقتضى الامر ذلك

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

من الواضح ان الآية تتضمن حكيمين احدهما اصلي والآخر استثنائي فالأول يدل على ان حكم اكل الميتة ولحم الخنزير وتناول الدم في حالات السعة هو الحرمة لما في ذلك من المضرة الصحية اما في ظروف عدم تيسير الطعام المباح فالحكم هو الاباحة بل الوجوب ان توقف عليه انقاذ الحياة

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾

ودلالة هذه الآية الكريمة على ان كل ما حرم على الانسان في الحالات الاعتيادية يتحول الى المباح في الحالات الاضطرارية

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ

أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ والآية تدل على ان حكم صيام رمضان في الحالات الاعتيادية هو الوجوب

اما في الظروف التي يتوقع فيها الحرج والمشقة كالمرض والسفر فيرفع الوجوب ويحل محله الاباحة على ان يقضي الصوم بعد زوال العذر

٤- كذلك نهى الشارع عن بيع المعدوم والتعاقد عليه ورخص في بيع السلم والإجارة والمزارعة وكلها عقود ولكن في وقت التعاقد المعقود عليه معدوم ووجه الاستحسان حاجة الناس وتعارفهم

ونستنتج من هذه الآيات ان اساس فكرة الاستحسان هو دفع الحرج قبل وقوعه ورفع بعد الوقوع

وفقا لقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾